

الازدواجية اللغوية في الجزائر

*أ. أحلام قرقور

جامعة سطيف 2، الجزائر.

البريد الإلكتروني: omemirale@gmail.com

ملخص البحث

تعدّ الجزائر بتنوعاتها اللغوية من بين الوضعيات التي حظيت باهتمام العديد من الدارسين ومنذ عام 1830 عرف المشهد اللغوي في الجزائر نقطة تحوّل بعد دخول اللغة الفرنسية. ولهذا نحاول البحث الحديث عن العلاقات بين اللهجات الجزائرية واللغة العربية الفصحى، وذلك عن طريق استثمار مفهوم الازدواجية التي يتبناها البحث لتحليل ووصف الوضع السوسiolساني في الجزائر بغية الخروج بأفكار تساعد في تخطيط وضع اللغة العربية. الكلمات المفتاحية: الازدواجية اللغوية، تنوّعات لهجية، اللغة العربية الفصحى، التعدّد اللغوي، الثنائية اللغوية.

Summary

Algeria, because of its linguistic diversity, had the chance to attract the attention of several researchers. Since 1830 (eighteen thirty), the Algerian linguistic image has undergone a transformation phase after the arrival of the French language.

For this reason, the new studies attempt to find the relations between the Algerian dialects and the academic Arabic language (literary, classical), and this through the exploitation of the concept of bilingualism adopted by research in order to analyze and describe the sociolinguistic situation in Algeria to arrive at ideas that can trace the Arabic language situation.

* المؤلف المرسل: أ. أحلام قرقور omemirale@gmail.com

Keys words : diglossia, multilingualism ;dialect diversity
(multidialectalism) ;academic Arabic (literary, classical), bilingualism.

إنّ الباحث في مجال اللسانيات الاجتماعية يواجه صعوبة كبيرة في التمييز المنهجي بين مصطلحي الازدواجية والثنائية، نظرا للأهمية الكبيرة للمصطلحين "وطبيعتهما الإجرائية في مقارنة مجموعة من الظواهر اللغوية" ⁽¹⁾.

إلا أنّ الباحث يتبنى مصطلح الازدواجية ⁽²⁾ (La diglossie) وذلك لارتباطه الوثيق بمجال اللسانيات الاجتماعية، بالإضافة إلى استناده على منطق له ما يبرّره. "لفظ الازدواجية" له علاقة بطبيعة مفهومه الدال على وجود زوجين متلازمين من استعمال لغة واحدة (لغة / لهجة - مستوى أعلي / مستوى أدنى) هو ما يتفق مع مصطلح (Diglossie) في علم اللغة الاجتماعي. أمّا لفظ "ثنائية" الدال على وجود لغتين متميزتين وليس على مستويين من لغة واحدة، ففي اختياره مراعاة لمنطق التسلسل العددي بين ما قبله وما بعده المراعى أصلا في المصطلح الأوروبي ⁽³⁾.

¹ محمد نافع العشيري، مفاهيم وقضايا سوسيو لسانية، كنوز المعرفة، عمان - الأردن، ط1، (2015)، ص 71.
² في عام (1967) جاء اللساني الأمريكي جوشوا فيشمان (Joshwa Fichman) وأقام مقابلة جعل فيها الثنائية اللغوية في قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات، ممّا يدخل في باب اللسانيات النفسية، وجعل فيها الازدواجية اللغوية في جهة أخرى، وهي (استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما) ممّا يدخل في باب اللسانيات الاجتماعية. وهذه المقابلة يُعدّل فيها تصوّر فرغسون في مسألتين أساسيتين.

أولا: لا يولي فيشمان عناية كبيرة لوجود شفرتين لغويتين مختلفتين (قد يكون هناك أكثر من شفرتين).
ثانيا: يفترض فيشمان أنّ الازدواجية اللغوية قائمة على وجود اختلاف وظيفي بين لغتين مهما كانت درجة هذا الاختلاف ضعيفة جدا أو عميقة جدا، ولا شرط لوجود العلاقة الجينية بين الشكلين اللغويين. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمراء-لبنان، ط1، (2008)، ص 80. وعليه نجد فيشمان يلحق مصطلح الازدواجية (La diglossie) بالمجال السوسiolساني، في حين يحصر مصطلح الثنائية في المجال النفسي والتربوي.

³ عبد العلي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأم، عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط01، (2014)، ص 198

Unilinguisme	Bilinguisme	Trilinguisme	Plurilinguisme
أحادية	ثنائية	ثلاثية	تعددية

وهو ما اتفق عليه معظم علماء السوسiolinguistics.

بعد هذا التحديد ينتقل البحث إلى الحديث حول العلاقات بين اللهجات الجزائرية واللغة العربية الفصحى، وذلك عن طريق استثمار مفهوم ازدواجية لتحليل ووصف الوضع السوسiolinguistic في الجزائر بغية الخروج بنظريات تساعد في تخطيط وضع اللغة العربية، ووضع السياسات اللغوية المناسبة.

تعد الجزائر بتنوعاتها اللغوية من بين الوضعيات التي حظيت باهتمام العديد من الدارسين، ومن 1830 عرف المشهد اللغوي في الجزائر نقطة تحول بعد دخول اللغة الفرنسية.

فبها تم إرساء وتنظيم مجموعة من البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجزائر، فكانت اللغة الرسمية طوال فترة الهيمنة الكولونيالية إلى أن جاءت فترة الاستقلال، فلم تعد الفرنسية تتبوأ تلك المكانة، ورغم ذلك ظلت مهيمنة على أغلب القطاعات الهامة كالمالية مثلا⁽¹⁾.

وبعد أن كانت الجزائر تحظى بحالة استقرار لغوي على مدى فروق طويلة، حيث تقاسمت العربية الفصحى الأدوار والوظائف الاجتماعية مع اللهجات العربية والأمازيغية، فاضطلعت الفصحى بدور اللغة الرسمية في القطاعات الهامة مثل: الإدارة والتعليم... في حين استمرت اللهجات والأمازيغية في القيام بوظائف الحياة اليومية⁽²⁾.

¹ جليلير غرانغيوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (2011)، ص

² ينظر: محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسiolinguistics، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط01، (2016)، ص 161.

ويُطلق محمد الأوراعي على هذه الوضعية اللغوية مصطلح 'الازدواجية الخاملة'* وقد أشار فرسون إلى أوضاع لغوية من هذا القبيل (الازدواجية المستقرة)، إذ يمكن أن تكون الازدواجية مقبولة ولا يُنظر إليها كمشكل في بعض المجموعات اللغوية إلى أن تظهر بعض التغيرات في المجتمع مثل انتشار التعليم والاحتكاك بمجموعات أخرى (اللغات الأجنبية) أو الرغبة في البحث عن لغة وطنية كرمز للإستقلال والسيادة⁽¹⁾.

ومثال ذلك الخطوة التي تناولها الفرنسية في الجزائر اليوم بسبب طرق التعليم، إذ تُدرّس في الجزائر منذ السنة الثالثة ابتدائي، إذ إنّ انتشار التمدرس يشيع معرفتها بين شريحة من السكان أوسع مما كان عليه الأمر قبل الاستقلال⁽²⁾.

فهذا الوضع الجديد دفع عددا من الباحثين إلى إعادة وصف وتحليل المشهد اللغوي في الجزائر وفق التطوّرات التي عرفها المجال السوسiolساني.

أ. وضعية اللغات

لا تعرف الخريطة اللغوية في الجزائر تماثلا في استعمال التنوّعات اللغوية، فالدارجات الجزائرية تُهيمن على السوق الشفوية وتحقق تواصلا بين المجموعات اللغوية المختلفة والعربية الفصحى واللغة

* يميز محمد الأوراعي بين تعدّد لغوي (باعتبار مكانة بعض اللغات المتعايشة في نفس البلدان إلى بعضها الآخر) بين نوعين: أحدهما مستقر والآخر نشيط، فالخامد يكون في سياق هيمنة لغة ما (قومية) على باقي اللغات، لكن جميع هذه اللغات لا تصارع اللغة القومية مكانتها المتميزة، أما الضرب النشط فيكون في وضعية لغوية تشهد تعايش عدة لغات إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعا لغات عالمية متقاربة سياسيا وثقافيا، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات لها مكانة متميزة بالمقارنة إلى مكانة لغة أو لغات أخرى عامية. وهذا النوع يصدق على الجزائر وجو اللغة العربية واللغة الفرنسية والأمازيغيات. محمد الأوراعي، التعدّد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، المغرب، ط1، (2002)، ص52.

¹ محمد نافع العشري: مفاهيم وقضايا سوسiolسانية، ص162.

² جليب غرانغوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ص 92-93.

الفرنسية لاستعمالهما إلا أقلية من المتقنين والأمازيغية أمازيغيات وهي شتات لها مناطقها النافذة وتأدياتها المختلفة⁽¹⁾.

أ.1 اللغة الأمازيغية: تعدّ الأمازيغية في الجزائر لغة وطنية رغم أنّها اللغة الأمّ في المناطق الأمازيغية، وهي ذات طابع شفوي، وهي لغة رسمية أقرّ بها الدستور إلا أنّ شفويتها هي التي تحول دون الرقي بها وتوحيدها⁽²⁾.

وتتوزع الأمازيغيات على الخريطة اللغوية كما يلي:⁽³⁾

- القبائلية: تنتشر في ولايات تيزي وزو، بجاية، البويرة.
- الشاوية: لغة السكان المنتشرين في الشرق وجبال الأوراس.
- المزابية: وهي تستعمل في منطقة غرداية في القسم الشمالي من الصحراء الكبرى.
- الشلحية: لغة السكان المنتشرين في أقصى الغرب الجزائري قريبا من المغرب.

ويُطلق على هذه اللغات من حيث المجال الجغرافي الذي تشغله باللغات القبلية، ويحمل محمد الأوراعي خصائص اللغات القبلية فيما يلي:⁽⁴⁾

- إنّ مستعمل لغة قبلية إذ وُجد خارج منطقة انتشارها لا يجرأ أن يُفتح بها مُحاطبا لا يعرفه إلا أن يكون قصده معرفة ما إذا كان المخاطب من نفس القبيلة. فاللغة القبلية قاصرة عن

¹ صالح بلعيد: اللغة الأمّ والواقع اللغوي الجزائري (مقال). اللغة الأمّ: مجلة تناول مقالات في اللغة الأمّ، دارهومة، الجزائر، (2009)، ص 09.

² لاصب وردية: الواقع اللغوي الجزائري (مقال)، مجلة اللغة الأمّ، ص 65.

³ ينظر: محمد الأوراعي: التعدّد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة التحاح الجديدة، البيضاء، ط12، (2002)، ص 81.

⁴ محمد الأوراعي: التعدّد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص 80-81.

التواصل بين أبناء الوطن الواحد كقصور اللغة الوطنية عن أداء وظيفة التواصل في ربوع العالم.

- لا تتعلّم قبيلة لغة أخرى، أوّلا لكثرة اللّغات القبلية، وثانيا لقصورها جميعا عن التواصل بها خارج مناطق انتشارها.

- ليس في "الثقافة الأصلية" لإحدى اللّغات القبلية ما يحمل أهل الآخرين على تعلّم لغة الباقي لحمولاتها الثقافية، لأنّ الثقافة الأصلية لجميع اللّغات القبلية في الشمال تشترك في ارتكازها على معتقدات وثنية.

ومع ظهور الإسلام في شمال إفريقيا، أضحت العربيّة مصدرا لثقافة جديدة، وأصبح لها موقع خاص من اللّغات القبلية في الجزائر.

أ.2 اللغة العربية الفصحى: تُعدّ اللغة الرسمية في الجزائر، وهي مكوّنات الشخصية الوطنية، كما تعدّ لغة المدارس والإدارة وبعض البرامج الثقافية عبر وسائل الإعلام، إلّا أنّها لا تؤدي وظيفة التواصل اليومي بين الجزائريين.

أمّا وضع العربيّة الفصيحة تُجاه الأمازيغية وضع غير مقلق نسبيا مادامت الأمازيغية توظف فقط في ملاسنة الاتصال في محيط اجتماعي معيّن، وبعيدا عن أن يضطلع هذا اللسان بالدور الوظيفي الذي تقوم به الفصحى⁽¹⁾.

فالتعايش بين العربية والأمازيغية استمرّ طويلا (حوالي خمسة عشر قرنا) و "التعددية اللّسانية العربيّة والأمازيغية أنتجت تاريخا وحاضرا غير مسبوقين للتناغم و الانسجام والاستقرار اللّغوي... وإنّ التنوّع المحلي أو الوطني مباح، والبينية اللّغوية والتداخل والاندماج أمور تلقائية"⁽¹⁾.

¹ أمّنة ابراهيمي: وضع اللغة العربيّة بالمغرب وصف ورصد وتخطيط، منشورات زاوية، الرباط-المغرب، ط01، (2007) ص 99.

أ.3 العامة (الدارجة الجزائرية): تعدّ التنوعات اللّهجية التي يستخدمها الناطقون الجزائريون جزءا من الدائرة المغاربية مع حصول التداخل والتفاهم الجليّين بين تنوّعات الشرق الجزائري والتنوّعات المجاورة التونسية من جهة، وبين تنوّعات الغرب الجزائري والتنوّعات المغربية من جهة أخرى⁽²⁾.

كما تمتاز بشفويتها ولا تضطلع بالدور الوظيفي الذي تقوم به الفصحى، وينحصر استخدامها في شؤون الحياة العامة والأواسط العائليّة.

أمّا الباحث المغربي محمد نافع العشيري فيرى وجود أشكال أكثر تعقيدا، ويصنف الدراسات التي تناولت ظاهرة الازدواجية اللّغوية إلى صنفين: ازدواجية كبرى، والازدواجية الفرعية⁽³⁾.

1. ازدواجية كبرى **Macrodiglossia** : حيث توجد لغات لها وظائف سوسiolسانية رفيعة في الجزائر، وهذا الدور تؤدّيه العربية الفصحى واللّغات الأجنبية (تحديدا الفرنسية)، أمّا الوظائف الوضيعة فتؤدّدها الدّارجة الجزائرية والأمازيغية. ويرى جليبر غرانغيوم أنّ الدّارجة والأمازيغية بالرغم من وظائفهما الوضيعة فإنّهما أكثر مرونة وقدرة على التعبير عن الحياة المعاصرة⁽⁴⁾.

غير أنّ تخصيص الوظائف السوسiolسانية على هذا النحو فيه صرامة كبيرة بين المنوّعتين (الرفيعة والوضيعة)، إذ يمكن أن يحدث تداخل وتفاعل بين المنوّعتين، والأمثلة على ذلك كثيرة. ففي

¹ المرجع نفسه، ص 99.

² حولة طالب الابراهيمى: الجزائريون والمسألة اللّغوية، عناصر من أجل مقارنة اجتماعيّة لغويّة للمجتمع الجزائري، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، ط2، (2013)، ص18.

³ محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسiolسانية، ص 164.

⁴ ينظر: ينظر: محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسiolسانية، ص164.

السياقات الرسمية مثل المحاضرات يُلاحظ مرارا هذه المزاوجة في صلب الدّرس الواحد بين العربية الحديثة والعربية الدّارجة التي تضطلع أساسا بالوظيفة التواصلية⁽¹⁾.

والأمر نفسه ينطبق على المسرح في الجزائر، فتجارب عبد القادر علولة وسليمان بن عيسى (رجلان من رجال المسرح) برهان على حيوية الإنتاج الفنّي المصوغ بالعربيّة الدّارجة، بالإضافة إلى وسائل الإعلام التي تخضع في العديد من برامجها (النقاشات) إلى قاعدة تبادل التنوّعات اللّغوية في الأحاديث⁽²⁾.

2. ازدواجية صغرى **Microdiglossia**: يتم التركيز هنا على الازدواجيات التي تكون فيها العربية طرفا.

أ. ازدواجية فصحي/دارجة: توجد العديد من الدّراسات التي تناولت ازدواجية الفصحى والعامية، وتمت الإشارة إليها سيما في أعمال فرجسون ووليام مارسية فكلاهما يرى بأنّ الفصحى تضطلع بدور اللّسان الرسمي (المنوّعة العليا) بينما تؤدّي الدّارجة الجزائرية دور التواصل اليومي بين الأفراد (المنوّعة السفلى)، بالإضافة إلى ما إمكانية التفاعل والتداخل بين الفصحى والعامية في وسائل الإعلام⁽³⁾.

ب. ازدواجية الفصحى والفرنسية: يرى معظم الباحثين أنّ هذه الازدواجية لها خصوصية تميّزها عن باقي الازدواجيات الموجودة في الجزائر، لأنّهما لغتان لا تنتميان إلى أصول سلالية واحدة، ولأنّ تصنيف (المنوّعة الوضيعة والمنوّعة الرفيعة) لا ينطبق تماما على هذه الازدواجية، فيلاحظ أنّ

¹ حولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللّغوية، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 41.

³ ينظر: محمد نافع العشري، مفاهيم وقضايا سوسiolسانية، ص 168-169.

الفصحى تستعمل في مجالات رسميّة كالتعليم والإعلام وبعض المؤسسات الثقافية، في حين تستعمل الفرنسية في التعليم التقني وفي المجالات الاقتصادية الهامة⁽¹⁾.

وقبل الحديث عن آثار هذه الازدواجية لابد من الإشارة إلى بعض خصائص اللهجات الجزائرية: إنّ اللهجات عموماً تعد اختلافات عن اللغة الفصحى على المستويات اللغوية المختلفة، والأمر نفسه ينطبق على اللهجة الجزائرية فهي عبارة عن فصحى محوّلة، وهذا التحريف موزّع على المستويات السابقة (الصوتية، التركيبية...)، فاللهجة ما هي إلاّ "تركيب كلامي ينتمي إلى أصل لغوي معيّن، ويتميّز عن غيره، من مشتقات ذلك الأصل اللغوي في النطق والمفردات وبعض التراكيب"⁽²⁾.

الجانب الأول (المفردات)

• **مستوى القواعد:** ويقع التحريف في الأفعال مثل: (كُتِبَ، يَكْتُبُ و خَرَجَ، يَخْرُجُ) وهذا بتسكين الحرف الأخير وفتح العين في المضارع بدل ضمّها (كُتِبَ، يَكْتُبُ، خَرَجَ، يَخْرُجُ).

• **في التصريف:** لا توجد صيغة المثنى مثل: أنتما كتبوا وليس (أكتب). بالإضافة إلى استخدام المتزامن لصيغتين من صيغ الملكية صيغة الفصحى عن طريق الإضافة وصيغة العامية بإضافة (انتاع) أو (ديال)⁽³⁾. بالإضافة إلى تسهيل الهمز في مثل قولهم (جيت) بدلا من جئتُ، وقرا عوضا عن قرأ، ومومن بدلا من مؤمن.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 177.

² آمنة إبراهيمي: وضع اللغة العربية بالمغرب، وصف ورصد وتخطيط، ص 26.

³ المرجع نفسه، ص 64.

أما في اسم الفاعل فيأتون به من المعتل على الأصل، ودون إبدال نحو:

ذَابَ ————— ذَابِبٌ بدلا من ذائب.

بَاعَ ————— بَائِعٌ بدلا من بائع.

وفي التصغير يتم بنفس الطريقة تقريبا بكن بفتح الأول أو تسكينه لا ضمّه وفتح ما قبل الآخر (حميد أو حميد) بدلا عن حميد⁽¹⁾.

• مستوى بنية الكلمات: تُغيّر العامة الكثير من الكلمات إمّا بالزيادة أو التقصان

نحو: جلابية من جلباب، وهذا بإبدال (الباء) الأولى (لاما) وإدغامها، وإضافة باء مشددة وهاء السكت⁽²⁾.

الجانب الثاني – التراكيب والأساليب⁽³⁾

يندرج هذا المستوى من ضمن الصور البيانية من أبرزها:

الكنائيات: تكثر الكنائيات لدى الجزائريين بهدف تقوية الفكرة في أذهان السامعين نحو (على العين والراس)، كناية عن الاهتمام والاحترام، (بارد القلب) ، كناية عن صفة اللامبالاة وقلة الاهتمام.

أما باب البديع فيظهر بكثرة في: الجنس الناقص، نحو (ياكل الغلة ويسب الملة) و(اللي فات مات).

أما الطباق فيظهر في: طالع هابط، قاعد واقف.

من خلال ما سبق يتبين لي أنّ الهيكل الأساسي للّهجة الجزائرية قائم على اللغة العربية الفصيحة. ويقسم عبد العلي الودغيري معجم هذه اللّهجة إلى الأنواع الآتية: ⁽¹⁾

¹ عبد القادر شارف: بين الفصحى والعامية منطوق مستغاث نموذجاً (مقال)، مجلة بصمات، ص 202-203.

² المرجع نفسه، ص 204.

³ ينظر: عبد القادر شارف: بين الفصحى والعامية منطوق مستغاث نموذجاً (مقال)، مجلة بصمات، ص 205-208.

أ. ألفاظ عربية فصيحة مورثة عن الفصحى المشترك بين كلِّ اللهجات العربية وخاصة تلك الدالة على أعضاء جسم الإنسان (العين، أنف، أذن، الرأس...). وصفاته وما يحيط به من ألوان (أزرق، أصفر، أحمر... الخ) وطبيعة (أرض، سماء، تراب...). فهذا الضرب من الألفاظ مشترك بين الفصحى وسائر لهجاتها ومنها اللهجات الجزائرية.

ب. ألفاظ مورثة عن الفصحى القديم باقية على فصاحتها دون تغييرات تذكر في اللفظ والدلالة نحو: زير بمعنى: شدّ الحبل جيداً، و(القم) بضم الفاء وتشديد الميم لغة فصيحة في الفم.

ج. ألفاظ من الفصحى الحديث المشترك بين العامية الجزائرية والفصحى وكل اللهجات العربية مما ولدته الحاجة إلى التعبير عن مستجدات العصر عن طريق الترجمة و التعريب والاشتقاق، مثل: قلم الرصاص، الجامعة، الكلية، الطائرة.

د. ألفاظ فصيحة لكن طراً عليها في الاستعمال العامي (الجزائري) تغييرات في الصيغ اللفظية دون مساس بالمعنى نحو (قليل، قليل، قليل، بعيد...) بتسكين حركة الحرف الأول، كذلك تحويل الحرف المكرر إلى ياء (حطيت، مسيت) في حططت، مسست...

هـ. ألفاظ وتراكيب طراً عليها تغير صوتي ملموس بالإدغام والنحت والحذف والقلب والترخيم والإضافة حتى أصبحت غير مفهومة، إلا لدى الجزائريين وسكان المغرب العربي مثل (علاش، ماکانش، بزاف) بمعنى (على أي شيء، ما كائن شيء، كثير).

¹ ينظر: عبد العلي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأم، ص 258-266.

وهذا كله يدلّ على وجود العديد من الألفاظ المشتركة بين اللهجات الجزائرية والعربية الفصحى، إلا أنّ الجزائري لا يستعملها في حديثه اليومي وفي كتاباته بالفصحى لعدم وجود منهجية تعليمية في المدرسة الجزائرية تُشجع المتعلّم على استغلال معجمه الفصيح الذي يوجد في عاميته⁽¹⁾.

أمّا ظاهرة الهجين اللغوي التي بدأت تنفّس في المجتمع الجزائري باستعمال تراكيب وأساليب عربية وأخرى أجنبية فإنّ هذه الظاهرة تظلّ محدودة وفي سياقات خاصّة - عند بعض ثنائي اللغة - وضعف مناهج تعليم اللغة العربية الفصحى وعدم تطويرها⁽²⁾.

خلاصة القول في هذا العنصر هو التقارب الكبير بين اللهجات الجزائرية والعربية الفصحى وهو ما يغلق الباب على دعاة العاميات سيما أنّ خصائص اللهجات الجزائرية تكشف حجم الصعوبة التي تصاحب عملية انتقالها إلى مستوى اللغة العربية الفصحى، سيما بعد الشروط التي وضعها السوسولسانيون (المقبولية، الانتقاء، المعيرة،... الخ).

فمعيّار الانتقاء مثلاً يتطلّب اختيار لهجة جزائرية من بين العديد من اللهجات التي تحظى بامتيازات سياسية، واقتصادية وهو ما لا يتوفّر في أيّ منوعة لهجية في الجزائر. في حين يتطلّب معيار التقعيد وضع كتب وقواعد ومعاجم لكلّ لهجة على حده، وما يُصاحب ذلك من عمليات الترجمة³ حيث يترجم كل ما يكتب بالعربية الفصحى أو اللغات الأجنبية ذلك في مجالات العلم

¹ ينظر: آمنة ابراهيمي: وضع اللغة العربية في المغرب، ص 97-98

² ينظر: عبد العلي الودغيري، لغة الأئمة ولغة الأم، عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية و الثقافية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، (2014)، ص 265-266.

³ تشكو المكتبة العربية من نقص واضح في المؤلفات العلمية والمترجمات، فعدد الكتب محدود في مختلف أنواع الكتابات إذ يبلغ متوسط الكتب المترجمة إلى العربية 330 كتاب سنوياً وهذا خمس ما يترجم إلى اليونانية. الفاسي الفهري: أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثّرات الترجمة، منشورات زاوية، ط1، (2005)، ص 77.

والأدب إلى الدّارحة الجزائرية، هذا ما يتطلب ميزانيات ضخمة وتوفير المترجمين الأُكفاء⁽¹⁾. وكما هو معلوم أنّ الفصحى لم تنل الاهتمام بخصوص الترجمة فما بالك بالعاميّات.

آثار الازدواجية اللّغوية:

يُحذّر الكثير من الباحثين من تفاقم واتساع الهوة بين المستوى العامي والمستوى الفصيح للّغة العربيّة وهذا ما يحدث مؤخراً، لذلك ينبغي تضافر جهود المخطّطين اللّغويين لتنظيم وتدير المشهد اللّغوي في الجزائر للحدّ من الآثار السلبية للازدواجية سيّما في المجال التعليمي التربوي.

فهذا الازدواج في النظام التربوي لم ينتج إلّا طلابا ضعيفي المستوى في اللّغتين (الفرنسية العربية) فأصبحت العربيّة خليطا من الألفاظ العامية والفرنسية على جميع المستويات⁽²⁾. وهو الشيء الذي ظهرت بوادره في إنتاج جيل ضعيف في اللّغة العربية، لا يقدر أن يبدع ولا أن يفكر بها⁽³⁾. حيث توجد مسافة كبيرة بين المنطوق والمكتوب يجب تجاوزها.

إنّ الازدواجية اللّغوية تبدأ مع التمدّرس، فعندما يدخل الطفل المدرسة يكون قد تعرّف على ممارسة اللّغة التي تعلّمها في البيت والشارع، وتعرف هذه بمرحلة قابلية التشكّل، أي أنّ الطفل له قابلية لتعلّم لغات أخرى. ويكون الطفل قد بدأ يتعرّف على التلفظ بحركات اللّغة العربية وسواكها وأخذ قسطا من معجمها ثم يجد نفسه أمام لغة أجنبية (الفرنسية تُدرّس منذ السنة الثالثة ابتدائي في

¹ ينظر: محمد نافع العشري، مفاهيم وقضايا سوسiolسانية، ص 124-126.

² الجيلاني بن يشو: التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاساته، (مقال)، مجلة المجلس الأعلى للّغة العربية، مجلة سنوية تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية، ج2، (2011). التعدد اللساني واللغة الجامعة، ص 65.

³ أحمد محمد المعتوق: نظرية اللّغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط5، (2005)، ص 22.

الجزائر)، لديها نسق بعيد عن اللغة العربية الفصحى فيؤثر ذلك على ملكته، وهذا التأثير يظهر جليا خلال الأخطاء المتكررة التي تترسخ لديه⁽¹⁾.

فالازدواجية تؤدّي إلى ضعف مستوى الأداء اللغوي لدى التلاميذ وما "يبنيه مدرّس اللغة العربية معرّض للهدم بسبب انتشار العامية في مرافق الحياة"⁽²⁾.

إذا كانت اللغة العربية لغة عالمية موجودة في أكبر المنظمات الدولية والرسمية إلا أنّ نشر اللغة العربية في العالم وجعلها لغة جذابة ومؤثرة (كما هو حال الانجليزية) أمر صعب حاليا، لأنّ الرّاغب في تعلّم العربيّة (من الأجانب) لا يريد لغة للكتابة والقراءة وإنّما يريد أيضا لغة للحديث والتواصل مع الناس⁽³⁾.

أمّا آثار الازدواجية على المستوى الفكري فتظهر جليا عند الطفل الجزائري بما يُسمى العقدة اللغوية، "فنحن نطلب من الطفل أن يستثمرها (طاقته اللغوية) على مستويين: أولا في سيطرته على اللغة، وثانيا في استعماله اللغة لمعرفة الواقع، وكلّما ارتفعت استثمارات الطفل اللغوي لقدرته فقط على التعبير، انخفضت إمكانيات استثماراته في مجال المعرفة والتحليل، إذن الشكل يغلب على المضمون... وسوف نجد أنّ هذا الطفل ضيّع كثيرا من طاقاته وهذه العقدة تؤدي إلى عرقلة نموّ الإمكانيات العلمية والتحليلية والتقنية للطفل، فاللغة تستعمل أكثر لمعرفة الواقع وتحليله وتغييره"⁽⁴⁾.

¹ إدريس السنغروشي: الآثار الناجمة عن ازدواجية اللغة في تكوين الملكة اللغوية العربية في المراحل الأولى من التعليم، (مقال)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، (1993)، ص 111-113.

² عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية ومقالتان مترجمتان: إحداها أثر 'اللغة العربية على نفسية العرب' لشوبي والأخرى 'الازدواج اللغوي' لفرجسون، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، (1997)، ص 35.

³ ينظر: عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية، ص 44.

⁴ محمد جسوس: الازدواجية اللغوية وتأثيرها على الطفل وعلى العلاقات الاجتماعية وعلى الثقافة الوطنية، (مقال)، مجلة بصمات، ص 216.

سيما إذا أراد هذا الفرد الولوج إلى مجتمع المعرفة الذي يتطلب طاقات لغوية جيدة ينسجم فيها الشكل مع المضمون ، هذه بعض العراقيل والآثار السلبية للازدواجية اللغوية.

علاج الازدواج اللغوي

لقد اقترح علماء اللغة عدّة حلول للحدّ من الآثار السلبية للازدواجية اللغوية. فالتفريق بين نوعين تعبيريين (الفصحى واللّهجة) ليس كافياً، حيث توجد عدّة أبحاث ذهبت إلى أنّ تنوعات أخرى هامة منها (النوع الوسيط) وليس صحيحاً أنّ الأنواع لا تتداخل في الاستعمال، وليس صحيحاً أيضاً أنّ النوع الأعلى مكتوب فقط والنوع الأسفل منطوق، فالحوارات في الفضائيات تبين أنّ الأنواع تختلط بحيث تستعمل الفصحى والعامية بالتناوب ولم تعد العاميات شفوية فحسب، بل أصبحت تكتب في الروايات والإعلانات⁽¹⁾.

وهنا يأتي دور المخطّطين اللغويين للتقريب بين المستوى الفصيح والعامي، وذلك بتقليص الفروق بينهما سيما أنّ "معظم الدّراسات اللّغوية اتفقت على استحالة أن تكون الفصحى لغة الحياة اليومية هي نفسها لغة الكتابة بما فيها من مظاهر إعرابية"⁽²⁾.

وتمثّل الانغماس المبكّر للأطفال في بيئة تنطق بمستوى اللغة الفصيحة خطّة مثالية تساعد على اكتساب اللغة العربية الفصيحة في سنّ مبكرة⁽³⁾. كما يقترح علماء اللغة جملة من التدابير تُصاحب

¹ عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثاً عن بيئة طبيعية ، عادلة، ديمقراطية و ناجعة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، (2013)، ص34.

² عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط01، (1997). ص 57-58.

³ عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 35.

الطفل خلال المراحل التعليمية الأولى، وذلك بتوفير المدرّس الكفؤ الذي يعمل على تصويب وتقويم الأخطاء وتهذيب التراكيب والأساليب⁽¹⁾.

- الاستعانة بالمعجم اللغوي الخاص بفترة الأطفال، واختيار مفردات قريبة مما يألفه⁽²⁾.

كما أنّ اللغة الفصحى المستعملة يوميا في المدارس والجامعات مع المتعلّمين والبرامج الإذاعية تتوخّى البساطة بإمكانها أن تكون صلة وصل بين الفصحى والعامية⁽³⁾. كما أنّ نشر التعليم والقضاء نهائيا على الأميّة يؤديّ إلى اختصار المسافة بين المستوى الفصيح والعامي "وبإمكان كتبنا المدرسيّة أن تؤدّي دورا ناجحا في ذلك من خلال تفصيح الرصيد اللغوي الذي اكتسبه الطفل خارج المدرسة، وتركه يعبر بأيّ كلمة يشاء ويأتي المعلّم ويُشرف على التّصحيح الصوتي، وإبدال ما هو أجنبي عن الفصحى"⁽⁴⁾.

- تجنيد وسائل الإعلام المسموعة والمرئية لنشر الفصحى المبسّطة⁽⁵⁾. سيما أنّ اللغة بالنسبة للإعلاميين بمثابة وسيط يجب اختياره بدقة لنقل الفكرة والتأثير في جمهور المتلقين و"استعمال

¹ ينظر: محمد عطية الإبراشي: لغة العرب وكيف نهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت. ص 32-33.

² أحمد درويش: ثقافتنا في عصر العولمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، (2003)، ص 82.

³ أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، (1988)، ص 148.

⁴ عبد الجليل مرتاض: تجارب علميّة في تفصيح العاميّة، (مقال) مجلّة اللغة العربيّة، العدد العاشر، ص 33.

⁵ المقصود بالعربية المبسّطة أو الميسّرة هي العربية الحديثة التي تتفاعل مع واقعنا الحالي، الخالية من الألفاظ الغريبة العصريّة على الفهم والأساليب القديمة التي تجاوزها الدهر، كلّ ذلك دون الخروج على قواعد اللغة على جميع المستويات (الصوتية والصرفية والنحوية)، ينظر: عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأم، ص 318. فالفصحى الميسّرة هي اللغة التي لا يُلغى فيها الإعراب بتاتا وإنما يُخفّف في بعض المواقع الأسلوبية التي لا تثير اللبس، ولكن لا يُترك الإعراب الذي هو تمييز المعاني، فهو سمة بارزة للعربية". ينظر: صالح بلعيد: هموم لغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، (2012)، ص 217. أمّا فكرة ما يُسمى بـ (العربية الوسطى / أو اللغة الثالثة) وهي فكرة مقبولة مبدئيا إذا كان المقصود بها العربية التي لا تلغي القواعد النحوية الأساسية للفصحى، وتتخلص في المجال المعجمي من عدد كبير من الألفاظ التي لم تعد صالحة للاستعمال، وتنتفع على المولدات الجديدة وتأخذ ممّا في اللسان الدارج من ألفاظ قد تدعو الحاجة إليها بشروط نضعها المجامع والهيئات اللغوية المختصة وفي مقدمة هذه الألفاظ على -سبيل المثال- ما

الفصحى لغة للإعلام ليست مطلبا عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى المبسطة في مستواها العملي... ومن خصائصها التعبيرات الجديدة التي يحكم بصلاحياتها الاستعمال والشيوع⁽¹⁾. كما يؤدي الإعلام دورا هاما في التقريب بين المستويات اللغوية "ومن الثابت أنّ العصور التي يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية، هي غالبا أزهى العصور، أمّا إذا كان كلّ مستوى لغوي بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلي في المجتمع، وهذا يؤدي إلى التدهور والانحطاط"⁽²⁾.

إنّ الإعلام قدّم ثروة لغوية كبيرة سيما في مراح الأولى في نشر العربية المبسطة، وتقريبها إلى مستوى العامية، لكنّه مؤخرا بدأ بالتراجع عن هذا الدور وهذا ما يُلاحظ في الإعلانات التي تستخدم العاميات واللغات الأجنبية (الفرنسيّة) بكثرة، والأمر نفسه ينطبق على البرامج الترفيهية والنقاشات السياسية، فينبغي على الدولة مراجعة سياستها الإعلامية سيما أنّ الإعلام له دور كبير في التأثير على الأفراد والمجتمع بصفة عامة.

فالفصحى المبسطة هي نتيجة التفاعل بين مستويين للعربية: مستوى فصيح للكتابة ومستوى فصيح مسير للحديث، وتجنّب ما يُعرف بالتقعر والتكلف في الحديث، وهذه السمة تنسجم مع

كان في العامية من الفصحى المشترك الذي أهمل استعماله في الفصحى، واحتفظت به العاميات حيث توجد كلمات كثيرة في العامية لها فائدة في الدخول إلى القواميس اللغوية الفصيحة، مثل (عجاج' الغبار'، الباله' حزمة من القماش فيها بضائع'، الصينية) أداة منزلية تحمل فيها الأكواب)، الكانون (الموقد)، الخليع (اللحم المقدّد، يجفّف بحرارة الشمس ثم يطبخ... الخ). عبد العلي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأمّ، ص 318-319.

¹ عبد العزيز شرف: الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء، القاهرة- مصر، (1998)، ص 107-108.

² عبد العزيز شرف: العربية لغة الإعلام، دار الرفاعي، السعودية، ط1، (1993)، ص 64.

منطق تطوّر اللغات، فقد لوحظ أنّ التطوّر الصوتي فيها يميل نحو تيسير النطق وتسهيله والاقتصاد في الجهد العضلي أثناءه⁽¹⁾.

غير أنّ ممارسة الفصحى المبسّطة واستعمالها في وسائط متعدّدة (بالإضافة إلى الإعلام) مثل: البيت، المدرسة، ومقرّ العمل يساعد على شيوع اللّغة، فالبئة عامل أساس لنشر اللّغة و"الدراسات العلمية المختلفة تدلّ على أنّ أطفال البيئات الاجتماعية الاقتصادية الممتازة يتكلّمون أسرع وأدق من أطفال البئة الاجتماعية الدنيا"⁽²⁾.

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أهمية المهارات اللّغوية للتلميذ في المراحل الأولى. سيما مهارة القراءة والحديث، فلا بد من تكثيف مادة القراءة في الابتدائي بدلا من النحو الذي يُفضل تأجيله إلى المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعية، فإذا تلقى التلميذ في المرحلة الابتدائية نصوصا كافية قراءة وسماعا تيسّر له أن يكشف بنفسه طبيعة لغته وقواعدها، فقواعد العربية في الأصل استنبطت من النصوص⁽³⁾.

خاتمة:

ما يمكن استخلاصه هو أنّ ظاهرة الازدواجية اللّغوية في الجزائر لا تشكل خطرا يهدّد الفصحى، لكن الإشكال في الهوة التي تزداد اتساعا كلّ يوم بين المستوى الفصيح والعامي، لذا ينبغي تضافر جهود المخطّطين اللّغويين للحدّ من الآثار الجانبية لهذه الظاهرة اللّغوية، وذلك باختصار المسافات بين المستويات اللّغوية.

¹ عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللّغوي في اللّغة العربية، ص 66-69.

² المرجع نفسه، ص 92

³ المرجع نفسه، ص 102.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، (1988).
2. أحمد درويش: ثقافتنا في عصر العولمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، (2003).
3. أحمد محمد المعتوق: نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط5، (2005).
4. إدريس السنغروشي: الآثار الناجمة عن ازدواجية اللغة في تكوين الملكة اللغوية العربية في المراحل الأولى من التعليم، (مقال)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، (1993).
5. آمنة ابراهيمي: وضع اللغة العربية بالمغرب وصف ورصد وتخطيط، منشورات زاوية، الرباط-المغرب، ط01، (2007).
6. جليبر غرانغيوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (2011).
7. الجيلاني بن يشو: التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاساته، (مقال)، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة سنوية تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية، ج2، (2011). التعدد اللساني واللغة الجامعة.
8. خولة طالب الابراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، ط2، (2013).

9. صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع اللغوي الجزائري (مقال). اللغة الأم: مجلة تتناول مقالات في اللغة الأم، دارهومة، الجزائر، (2009).
10. عبد الجليل مرتاض: تجارب علمية في تفصيح العامية، (مقال) مجلة اللغة العربية، العدد العاشر.
11. عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية ومقالتان مترجمتان: إحداهما أثر 'اللغة العربية على نفسية العرب' لشويي والأخرى 'الازدواج اللغوي' لفرجسون، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، (1997).
12. عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط01، (1997).
13. عبد العزيز شرف: الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء، القاهرة- مصر، (1998).
14. عبد العزيز شرف: العربية لغة الإعلام، دار الرفاعي، السعودية، ط1، (1993).
15. عبد العلي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأم، عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط01، (2014).
16. عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثا عن بيئة طبيعية ، عادلة، ديمقراطية و ناجعة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، (2013).
17. عبد القادر شارف: بين الفصحى والعامية منطوق مستغانم نموذجا (مقال)، مجلة بصمات.
18. لاصب وردية: الواقع اللغوي الجزائري (مقال)، مجلة اللغة الأم.

19. محمد الأوراعي: التعدّد اللّغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النّجاح الجديدة، البيضاء، ط12، (2002).
20. محمد جسوس: الازدواجية اللّغوية وتأثيرها على الطفل وعلى العلاقات الاجتماعية وعلى الثقافة الوطنية، (مقال)، مجلة بصمات.
21. محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسiolسانية، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط01، (2016).
22. محمد نافع العشيري، مفاهيم وقضايا سوسيو لسانية، كنوز المعرفة، عمان- الأردن، ط1، (2015)
23. محمد عطية الإبراشي: لغة العرب وكيف ننهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.